بسم الله الرحمن الرحيم
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقـــوا

رابطة العالم الاسلامي
الامانه العامه
مكة المكرمـــــه

اوضاع الاقليات المسلمة في افريقيا

بحث اعده وقدمه
المشير (م) /عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب
رئيس مجلس امناء مندامة الدعوة الاســـــلاميـــه

يعاني المسلمون في افريقيا من مشاكل معقدة ادت الى انحطاطهم وتعدت بهم عـــن القيام بدورهم في نشر الدعوة الاسلامية في مجتمعاتهم ناهيك عن تقديمها لجيرانهـــــم الوثنيين واصحاب العقائد الأخرى . ولا استثناء في ذلك لأى من مجتمعاتهم سواء تلك التـى يتجاوزون فيها نصف السكان او تلك التي يقلون فيها عن ذلك . ومن هذا المنطلق فاننـــا نعني بالأقليات الاسلامية في افريقيا كل الجماعات المسلمة المستضعفة التي ليس لها وجـــود في السلطة السياسية ولا تملك نفوذا اقتصاديا فاعلا وليس لها وجود في الخدمة المدنيـــة والادارات الحكومية وبعيدة عن المواقع الحساسة وعن صياغة القرار . وبهذا التعريف فانـــه يصعب استثناء أى مجموعة مسلمة في افريقيا .

يشكل المسلمون في افريقيا ثقلا لا يمكن تجاهله او اهماله رغم مابهم من ضعف فهنـــاك خمسة عشرة دولة افريقية جنوب الصحراء تفوق نسبة المسلمين فيها ٥٠٪ وبين هذه الـــدول ثلاثة من اكثر الدول الأفريقية تعدادا وهي نيجيريا واثيوبيا وتنزانيا وتليها عشرة تزيد نسبة المسلمين فيها عن الثلاثين بالمائه . لهذا فانه لا يزال الصراع في هذه القارة محتدما بيـــن المسيحية والاسلام كل يسعى لحسم الهوية الثقافية لصلحته ، ويحدد المسيحيون فـــي مخططاتهم التي ترمي لنشر المسيحية عام ٢٠٠٠م موعدا يكون بمقتضاه الأكثرية من السكان مسيحيين . وتكسب افريقيا اهميتها من الموقع الاستراتيجي الذى تحظى به اذ أنها تربـــط قارات العالم القديم وتشرف على كل من المحيطين الأطلسي والهندى والبحر الأبيـــــض المتوسط والبحر الأحمر - فتسيطر على طرق التجارة وغيرها - كما وانها ذات وزن دبلوماسي خاص في المحافل الدولية في النزاع العربي الاسرائيلي ويتجلى ذلك في تذبذب العلاقات الأفريقية الاسرائيلية . وفوق هذا وذاك فان افريقيا قارة بكر غنية بثرواتها المعدنيـــــة والطبيعية فهي مخزن للغذاء ويصلح لكافة مجالات الاستثمار الاقتصادى ذات العـــــائد المضمـــــون .

ومن ثم صارت مجالا خصبا للاستقطاب العالمي ومن هنا فكان واجبا حتميا على دعـــاة الاسلام ان يضعوها في دائرة اهتمامهم سيما وان هذه القارة لها قدم سبق في الاســـلام فقد قامت الممالك الاسلامية في وسطها وغربها وشرقها ولا تزال آثارها شاهدة تحـــدث أخبار الدولة الاسلامية رغم مابذله الاستعمار والصليبيون من جهود لطمس معالم الاســـلام واجتثاث الدعوة من جذورها ولكن (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى اللـــــه الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) صدق الله العظيم .

مشاكل الأقليات المسلمة في افريقيا :

ان اهم المشاكل التي تعاني منها الجماعات المسلمة في افريقيا هي :

١) ضعف احوال المسلمين وضآلة دورهم في تسيير الحياة الاقتصادية والسياسيةوالادارية
٢) جهل المسلمين وعدم توفر فرص التعليم لهم خاصة التعليم العالي .
٣) فقر المسلمين وتدهور احوالهم الاقتصادية مقارنة بغيرهم من السكان .
٤) ضعف شعور المسلمين بهويتهم العقدية والثقافية لجهلهم بأمور دينهم .
٥) تفرق المسلمين طوائف وقبائل مما اضعف من وحدتهم وقوتهم واثرهم في المجتمع .
٦) ضعف صلة المسلمين بالعالم الاسلامي عامة والعالم العربي خاصة .

م/ث
٩/٢م

ولنبدأ في تفصيلها :-

اولا : يعاني المسلمون في افريقيا من الضعف والوهن العام الذى تتجلى مظاهره في عدم مقدرتهم على المشاركة في تنمية بلادهم وادارتها . والواقع انهم يتخلون من هذه المواقع قسرا بالطرق المعقدة بلوماسية واحيانا بالقوة .

وباعطاء النظر في الخارطة السياسية في افريقيا نستبين نسبة ذلك بوضوح ففي بلد مثل السنغال يمثل المسلمون ٩٧٪ من نسبة سكانها كانت تدار الي عهد قريب بواسطة رئيس مسيحي تساعده في ادارة البلاد عصبة من المسيحيين في مختلف مرافق الدولة . وفي بلد مثل اثيوبيا لا تقل نسبة المسلمين فيها على كل التقديرات عن الخمسين في المائة ويحكم النظام الماركسي فيها قبضته على مقاليد الأمور فاننا نجد معظم الاداريين من الأمهرية المسيحيين ولا يوجد وزير مسلم واحد في الحكومة وعضو مسلم في قيادة المجلس الانتقالي الحاكم للبلاد . وفي كينيا حيث تبلغ نسبة المسلمين ٣٠٪ لم يحظ مسلم واحد بوظيفة وزير منذ ان نالت استقلالها وعلى هذه الشاكلة كل بلدان افريقيا المسلمة .

ثانيا : يعاني المسلمون من الجهل والفقر ، الذى تتجلى مظاهره في عدم تأهيلهم للحياة العامة فقد اعدت النظم الاستعمارية في افريقيا خيصا للنظم التعليمية بحيث اصبحت على نسق النمط العلماني السائد في اوروبا وحتى البلاد القليلة التي كانت بها مؤسسات تعليمية اسلامية أخضعت الاستعمار من دور هذه المؤسسات ولم يعترف بخريجيها او بشهاداتها .

فقد كان رد فعل المسلمين هو الاعراض التام عن التعليم المدني الأوربي نسبة لسيطرة الكنيسة على اقراره في مناهج وادارات تربوية وكانوا يتهربون من ارسال ابنائهم الي المدارس الاستعمارية الكنسية لأن مناهج هذه المدارس لا تتضمن مواد التربية الاسلامية واللغة العربية لذلك انشأوا مدارس قرآنية تحاول عاجزة ان تقدم لروادها من ابناء المسلمين ثقافة عربية واسلامية متجاهلة بذلك التعليم التقني والفني وقد كان رد الفعل هذا في بادئ الامر استجابة دينية وناجحة غير انه جمد على شكله الأولي ولم يتطور ليستوعب حاجات العصر فانتهزت الادارات الاستعمارية الفرصة لتحشد عملاءها من الأفارقة الذين وقفوا ضحية لمحاولات التنصير في مدارس الحكومة التي يقوم المسلمون بتمويلها في شكل عوائد وحبايا تؤخذ منهم وضرائب تفرض عليهم لتأهيل اعدائهم التقليديين واستمر هذا الواقع الي الاستقلال فلما تنبه المسلمون الى اهمية التعليم العصرى وضعت الادارات الحكومية العراقيل امام ابنائهم فانعكس ذلك على ضعف وجودهم في الجامعات ففي تنزانيا مثلا وعلى الرغم من ان المسلمين اغلبية عددية الا ان نسبتهم في جامعة دار السلام لم تتجاوز الـ ١٠٪ منذ الاستقلال الى يومنا هذا . .

هذا هو الحال في بلد ذات اغلبية مسلمة فكيف بالحال في بلاد الأقليات الصغيره وبالطبع فان وجود اساتذة الجامعات المسلمين في هذه البلاد يكاد لا يلمس ، فقد اصبحت السيطرة الكاملة في مجال التعليم في يد المسيحيين ليديروا العملية التربوية وفق مخططهم الاستراتيجى الرامي الي مسخ هوية المسلمين وكما قد يتوقع فقد انعكس ذلك على خلو مرافق الدولة منهم .

اما مشاكل الفقر في مجتمعات المسلمين الأفارقة فيمكن رد بعضها الي مشاكل عصور الاستعمار فقد عانى مسلمو اثيوبيا مثلا من سياسات التفرقة منذ امد طويل فقد وجد هم المبشر الكاثوليكي البرتغالى في اوائل القرن السادس عشر الميلادى يسكنون في قرى منفصلة عن تلك التي يقطنها المسيحيون . وقد اتخذت هذه التفرقة شكلا رسميا عندما اصدر الامبراطور يوحنا الاول مرسوما عام ١٦٦٨ يحظر فيه سكن المسلمين والمسيحيين في مكان واحد . وقد تم على اثر هذا المرسوم اجبار المسلمين على اخلاء المناطق المرتفعة في غندار والنزوح الى المناطق المنخفضة من المدينة والتي ظلوا يقيمون بها الي يومنا هذا . كما حرم على المسلمين امتلاك الأراضي الزراعية الا اذا —

منحت لهم بشكل رسمي من قبل الأباطرة او حكام الاقاليم مقابل قيمة نقدية عالية وقد كان ذلك نادر الحدوث لذلك لجأ المسلمون الي التعامل مع الأرض عن طريق الايجار التعاقدي .

ولقد اقامت الكنائس الأوروبية بدعم اتباعها في افريقيا واحدث مثال على ذلك مشروع تشجيع الكنيسة لمسيحي المسالمة في امدرمان بالسودان بشراء الأراضي حول منطقة السوق وانفقت على ذلك المبالغ الضخمة في حين يتضور المسلمون جوعا في اقليم بقاع السودان واثيوبيا وتشاد والنيجر فمن ينجو من الموت جوعا يقضي سحابة يومه مشغولا بهموم العيش فكيف يلتفت من يسعى لأدنى معيشة الى قضايا الاسلام ووحدة المسلمين .

لقد اغرى بهم الفقر المدقع المؤسسات الكنسية ووجه لهم نشاط المبشرين الي المسيحية فرصدت لهم الميزانيات الضخمة . فقد كانت ميزانية الكنيسة للعمل في افريقيا من اضخم الميزانيات التي تنفقها خارج بلادها .

ثالثا : يعاني المسلمون في افريقيا من ذوبانهم في المجتمعات التي حولهم وضياع هويتهم الثقافية فأصبحوا جزءا من المجتمعات الأفريقية ينظرون الي الحياة بنظرتها ويستحسنون مايستحسن غيرهم واصبح سلوكهم في الغالب الأعم من جنس سلوك غيرهم في المجتمعات التي يعيشون فيها .

ولا شك ان هذه الحالة من الذوبان الثقافي قد تسبب فيها الجهل بأمور الدين اذ ان التلاميذ الافارقة لايتلقون تعليما نظاميا لتبصيرهم بأمور دينهم وعلى الرغم من انتشار المدارس القرآنية والكتاتيب الا ان المعلمين الذين يقومون بالتدريس فيها محدود والمعلومات بمبادئ الاسلام وكل مايقومون به هو تحفيظ التلاميذ اجزاء من القرآن وحروف الهجاء العربية والمولد النبوى وبعض الاحاديث التي حفظها عن شيوخه . وبما ان السياسات الرسمية التي تتبعها وزارات التعليم في هذه الدول لا تتحمل عبء تدريس الأديان فانها تعهد بهذه المهمة الي اهل الملل الدينية ويعجز المسلمون الافارقة بالقيام بهذه المهمة لما اسلفنا من فقرهم وسوء احوالهم المعيشية وبالاضافة الي ذلك فان هنالك مشاكل المعلم المدرب والمؤهل اذ لا يوجد معلمون مؤهلون ومدربون ليقوموا بتدريس الدين الاسلامي وبالطبع فان وزارات التربية والتعليم لا تقبل ان تضم الي صفوفها معلمين غير مؤهلين .

كما توجد هناك مشاكل المناهج اذ ان بعض المعلمين الذين يقومون بتدريس هذه المادة يكررون انفسهم ويحصرونها في فرع من فروع الفقه الاسلامي ، ويبقى اكثر المبادئ الاسلامية الأخرى بمعزل عن التلاميذ بالاضافة الي مشاكل الكتاب الاسلامي المتوازن الذى لا يوجد باللغات الأفريقية او الاوروبية حتي يستهدى به طلاب العلم .

وليس الجهل بأمور الدين وحده هو المسئول عن حالة الذوبان الثقافي التي تعاني منها المجتمعات الاسلامية في افريقيا فهناك الجهود الكنسية التي تعمل على تحلل المجتمعات الاسلامية عمدا . ففي الساحل الشرقي لكينيا حيث يتركز المسلمون في تلك المناطق عملت الشركات الأوروبية باقامة الملاهي والمصايف السياحية . والتي تشجع الموبقات وتساعد على فساد الشباب تحت مظلة انعاش السياحة .

رابعا : يعاني المسلمون في افريقيا من الفرقة والشتات وانقسامهم الي طوائف وشيع وقبائل فالمجتمع الأفريقي مجتمع قبلي فكثير من المسلمين الأفارقة يوالون قبائلهم اكثر من ولاءهم على اساس الدين . ولقد اسهمت هذه الحمية الجاهلية العرقية وكرست لمزيد من الفرقة والشتات التي جعلت الطريق ممهدا لاعداء الامة الاسلامية المتربصين بها الدوائر لخدمة اغراضهم ومخططاتهم .

ومن اسباب الانقسام الواقع بين المسلمين في المجتمعات الأفريقية هو الجهل بمبادئ الاسلام الأساسية فيقع الاختلاف حول قضايا هامشية ليس لها وزن في مبادئ الاسلام ونلاحظ ذلك في العديد من البلدان ومثال ذلك انقسام المسلمين في يوغندا

وترجع جذور هذا الانقسام الي عام ١٩١٣م. وهكذا تبدا الانقسامات وتتطور من انقسام حول الزعامة الي انقسام نظري حول الفقه كالتقويم القمري والذكر وعدد الذين تتم بهم الجمعة وقد ادت هذه الانقسامات الي ضعف المسلمين واغرت بهم الساسة فكانوا النقود في ايديهم وغالبا ماتذكي هذه الانقسامات جهات خارجية من بعض الدعاة الذين يأتون من الخارج فكل يسعى لنشر مذهبه الفقهي السياسي بغض النظر على اثر ذلك على مجتمعات المسلمين ، مما يسهم في زيادة الصراع المذهبي والطائفي الأمر الذي يؤدي الي اضعاف المسلمين وتدخل الدولة في شئونهم كما في يوغندا وتنزانيا وجيبوتي .

خامسا : تعاني المجتمعات الاسلامية في افريقيا من ضعف اتصالها ببقية اجزاء العالم الاسلامي فقد عملت الحكومات القائمة على ادارة شئون المسلمين في افريقيا على ضرب نوع من العزلة على هذه المجتمعات عندما اخذت تحد من حرية الحج . لقد كانت الرحلة السنوية التي يقوم بها الحجاج الأفارقة الي بيت الله والأماكن المقدسة تهيئ لهم اسباب الاتصال بالعالم الخارجي والالتقاء ببقية المسلمين وغالبا مايقابل هؤلاء الحجاج في بلادهم بالاحتفالات الشعبية وهم متشوقون الي ماينقل اليهم من تجارب الحجاج في الأراضي المقدسة . وقد اسهمت حكومات الدول الاسلامية في العالم العربي وغيره في هذه العزلة عندما عزفت عن اقامة مراكز ثقافية لها في البلاد الأفريقية تعمل على عرض ثقافتها على تلك البلاد على غرار ماتفعل الدول الاوربية كاقامة المراكز الامريكية والفرنسية والانجليزية والسوفيتية وغيرها .

كما ساهم اعراض الدول الاسلامية عن تقديم المنح التعليمية للمسلمين الأفارقة على احكام هذه العزلة . فالناظر الي اى من سجلات المنح في وزارات التربية الافريقية يجد ان مايقدمه المسلمون من منح لايكاد يذكر مقارنة بما يقدمه غيرهم .

ولنضرب مثلا باحدى الدول الافريقية المتصلة بالدول العربية بسوشائج القربى والدم وهي زنجبار :

جدول يوضح توزيع المنح العربية لوزارة التربية بزنجبار في الثمانينات ١٩٨٠ - ١٩٨٦م

البلد	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	المجموع
السودان	٤	١١	٩	٢٦	٢	١٠	١٠	٧٢
السعودية	٨	١٠	٧	٢	-	—	—	٢٧
مصر	١٠	١	—	٩	٣	٨	٥	٣١
اندونسيا	—	-	٢	-	-	-	—	٢
المجموع								١٣٢

اذا قارنا هذه الأرقام بما يقدمه الاتحاد السوفيتي من منح لحكومة زنجبار نجدها تساوى فقط عدد المنح السوفيتية لثلاثة اعوام متواليةـ ١٩٨٢-١٩٨٣-١٩٨٤م اذ انه يقدم اربعين منحة في كل عام من هذه الأعوام الثلاثة . ومن ثم يتضح لنا كيف ان الدول العربية قد اسهمت في ضعف الصلات بينهما وبين المجتمعات المسلمة في افريقيا .

ويجب ان نذكر في هذا المقام ان بعض الدول الاسلامية غير العربية تسعى لتوثيق صلاتها بالبلدان الافريقية وبمجتمعات المسلمين بها كايران مثلا فهي تقوم ببناء المراكز الثقافية في شرق افريقيا وتقديم المنح في غرب افريقيا وقد اثمرت هذه الجهود على تحالف معها بين الشباب المتحمس للاسلام . لا سيما ان بعض مبادئ المذهب الشيعي تلقى قبولا في نفوسهم كزواج المتعة .

م / هـ

٦ / ٢م

العوامل التي ادت الي مشاكل الجماعات الاسلامية في افريقيا :

حاولنا ان نتبع في القسم الاول من هذه الورقة المشاكل الأساسية التي تعاني منها المجتمعات المسلمة في افريقيا وتناولنا الضعف الذى قعد بهم عن المشاركة في ادارة بلادهم والجهل الذى جعلهم غير مؤهلين للحياة كما تجب . والفقر الذى اوقعهم في مصايد المؤسسات الكنسيةوذ وبان الهوية الذى جعلهم يتصرفون مثل غيرهم والفرقة والشتات التي اغرت بهم الساسة الافريقيين .

ونحاول في هذا القسم تتبع العوامل التي ادت بهم الي هذه الاشكالات ويمكن ان نجملها في ثلاثة عوامل : الاستعمار الاوربي
التبشير المسيحي
بعد المسلمين عن ساحة العمل الاسلامي في افريقيا .

اولا : الاستعمار الأوربي :

كان مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ نقطة البداية للسباق المسعور الذى عرف بأسم التكالب على افريقيا من قبل القوى الاستعمارية الأوربية التي تعددت اغراضها كما اشار لذلك الزعيم الافريقي احمد سيكوتورى حيث كتب قائلا : ومهما يكن من تنوع اشكال التسلسل الامبريالي الي افريقيا وتنوع اشكال القوى اقتصادية كانت او عسكرية ثقافية كانت او روحية فان الاستعمار قد تميز قبل كل شيء بثلاثة ميزات فرضت نفسها على افريقيا .

(١) حرم الافارقة من تسيير دفة مصيرهم وجردوا من سيادتهم وحريتهم ومن ممارسة حقهم الطبيعى في حل مشاكلهم .

(٢) السيطرة الاجنبية على شعوب وثروات افريقيا والاضطهاد الادارى والثقافي والسياسي .

(٣) توقف التطور الطبيعي للثقافات الافريقية ونضوب منابع نمو حضاراتهم فقد كانت للاستعمار التقليدى اهداف قريبة المدى تمثلت في الجوانب الاستراتيجية والاقتصادية بينما ركزت اهدافه الحضارية للبلدان المستعمرة . واستخدام الاستعمار في كل ذلك اساليب متعددة ومختلفة للوصول لتحقيق اهدافه القريبة والبعيدة ومن هذه الاساليب السيطرة العسكرية والقمع ، ونهب الثروات الطبيعية تجزئة وتفتيت الوحدة الداخلية من خلال سياسة فرق تسد والتلاعب بالحدود وتشجيع التبشير الغربي والاستيطان الأجنبي وفرض لغة المستعمر وثقافته على البلدان المستعمرة وفرض المستعمر لغته وثقافته على المجتمعات الافريقية عن طريق مناهج التعليم وتوجيه الثقافة والاعلام . ولما وقفت الثقافة الاسلامية في وجهه قابلها بحرب ضروس وحاول اقتلاع جذورها من البلاد الافريقية . ومن امثلة ذلك مافعله ونجت باشا حين قفل مدرسة واو الابتدائية عام ١٩٠٤م بحجة انها تساعد في نشر الدين الاسلامي ، وامر حاكم كردفان بتدريس اللغة العربية بالحرف اللاتيني حتي يبعدها عن الاثر العربي والاسلامي ، وسعى الاستعمار الي اضعاف مؤسسات التعليم العربي الاسلامي في كل البلاد الافريقية التي وجد بها تعليما اسلاميا متطورا فاستعمل فيها السلاح الناري ضد سلاحهم الابيض مما اوقع فيهم مقتلا عظيما وتربص بهم الدوائر كلما اوقدوا للثورة نارا استعمل معها اساليب القمع والارهاب ، كما فعل مع مهدى السودان في كررى ومهدى الصومال وخلفاء عثمان دان فوديو وعمر ابن سعيد تال الفوني في غرب افريقيا وعندما بدأت نار الحرب عمل على تفتيت وحدة المسلمين فجزأ خلافه سكنوا الي نيجيريا والنيجر ومالي وبنين وجزأ الصومال الي اقليم انجليزى وفرنسي وايطالي والحق بعضه الي كينيا . وجزا سلطنة زنجبار الي تنجانيقا وكينيا وزنجبار وشجع البعثات التبشيرية للعمل بين المسلمين بعد ان حجر المسيحيين الي مناطق

المسلمين ، كما شجع الاستيطان الاجنبي من اوربا وآسيا .

وقد اعرض المسلمون من مؤسسات التعليم التنصيرية حفظا لدينهم ولهويتهم الحضارية مما فتح المجال للمسيحيين والوثنيين ان يتأهلوا بالتعليم المدني الاوربي ومن ثم يرثوا مقاليد الأمور بعد رحيل المستعمر الاوربي الشرقي والغربي معا بي الاستعمار وشركاته ومؤسساته المالية والاقتصادية غير المسلمين فصاروا يتعاملون معهم ويعطونهم الميزات والتوكيلات ويشاركونهم في المشروعات الاستثمارية .

ولكن نهاية الاستعمار التقليدي لم تكن في واقع الامر نهاية لظاهرة الاستعمار لأنه وبعد ظهور الدولتين العملاقتين (امريكا وروسيا) بعد الحرب العالمية الثانية حيث احتدم بينهما التنافس العقائدي وتكونت احلافهما العسكرية .

استمر الاستعمار في شكله الخفي غير المباشر والذي سار على نفس اهداف الاستعمار التقليدي حيث جر البلاد الي تبعية وضعف ، وفتحها لانشاء القواعد العسكرية وقبول السيطرة الاقتصادية بالاتفاقيات غير المتكافئة والمساعدات المشروطة وانحاز الاستعمار الاوربي الي جانب المسيحيين بالبلاد فسمح للمؤسسات الكنسية بالعمل والحركة دون قيود واحتكر لهم في بلاد كثيرة كيوغندا وجنوب السودان وتنزانيا خدمات الصحة والتعليم فصار المواطن لا يتمكن من التعليم او العلاج الا تنصر وترك دينه فلا غرو ان ادى ذلك الي اضعاف حال المسلمين وحتي في الميادين التجارية التي يربح فيها المسلمون منذ وقت طويل خاصة على ساحل افريقيا .

ثانيا : التبشير الكنسي :

لقد عملت المؤسسات الكنسية بالتعاون مع الاستعمار الغربي على فرض نوع من العزلة على المجتمعات المسلمة واقصاء المسلمين من مواقع التأثير في الحياة اليومية وابقائهم دون تأهيل للحياة العامة ولم يكن التبشير الكنسي في اول الامر يسعى لتنصير المسلمين فقد بدأ يعمل بجد ونشاط في المجتمعات المجاورة لهم ويستعمل الادارة الاستعمارية في منع انتشار الاسلام ثم عمد بعد ذلك الي التأثير على عدد قليل من ابناء زعماء المسلمين باحتضانهم وتعليمهم في الغرب ويشربهم بثقافته وسلوكه ثم اعادتهم مشوهين ليكونوا رسلا للثقافة والحضارة الغربية واخيرا بلغ النشاط الكنسي حدا من الجرأة جعله يتجه لتنصير ابناء المسلمين انفسهم بعد ان نجح في كسب عشرات الملايين من اتباع الديانات الافريقية التقليدية الي صف المسيحية فقد اجتمعت بعض الكنائس العاملة في غرب افريقيا في ابادان عام ١٩٥٩م واتخذت مشروعا اسمته (مشروع الاسلام في افريقيا) جاءت فيه المقررات التالية :

أ) يشكل المسلمون ٤٠٪ من سكان افريقيا فيجب ان لا يستثنوا من ان تقدم اليهم بشارة المسيح .

ب) يجب ان تعمل كل كنيسة على تفهم واقع المجتمعات الاسلامية حولها باجراء الدراسات الميدانية وذلك لضرورة امنها .

ج) ان تعمل هذه الكنائس على نشر المسيحية من خلال التأثير في مناهج التعليم والبحوث ولتحقيق هذه التوصيات كونت الكنائس الاوربية لجنة اطلقت عليها لجنة الارتباط وجعلت مقرها في نيروبي ومهمتها انشاء لجان من الكنائس في المجتمعات المسلمة لتقوم بالاتي :

أ) تشجيع كافة المسيحيين الذين يواطنون مجتمعات اسلامية على العمل المنظم بين المسلمين .

ب) تنظيم حلقات دراسية وسمنارات للدعاة المسيحيين عن كيفية التداخل مع المسلمين وعرض المسيحية عليهم .

٣) نشر بعض الدراسات المسيحية عن الاسلام للمسيحيين .
٤) تشجيع التعارف بين المسيحيين والمسلمين .
٥) توفير الاستشارات والفتاوى الخاصة بموضوع العلاقة بين المسلمين والمسيحيين. وقد انشئت لجان في كل من كينيا وبنين واثيوبيا وغانا وملاوى ونيجيريا وسيراليون وساحل العاج والسودان وقد تمت الاتصالات بكل من السنغال وساحل العاج وتنزانيا وفولتا العليا وزائير وتعمل هذه اللجان على دراسة المجتمعات الاسلامية حولها بالتعاون مع جهات متخصصة . وقد كانت الحصيلة ان حصرت . . . ر . . ٢ دراسة في هذا الموضوع اكدت نتائج هذه الدراسة الى ان مجتمع السولاني بغرب افريقيا من اكثر المجتمعات الاسلامية قابلية لبشارة المسيح بالاضافة الى صومالي شمال شرق كينيا ثم بدأ العمل التبشيري بين كافة المجتمعات الاسلامية في افريقيا وكانت نتيجة ذلك ان تقبل اكثر من . . . ر . . ٩ مسلم المسيحية في افريقيا اليوم في السنغال وتنزانيا وسيراليون وساحل العاج وغانا ومالي وفولتا العليا والنيجر ونيجيريا والكمرون وافريقيا الوسطى وتشاد والسودان واثيوبيا وكينيا وتنزانيا ولا تزال النشرات المسيحية تطالعنا كل يوم بعدد الذين تنصروا هنا وهناك في كافة الاقطار الافريقية . وفي السودان فهناك ثلاثة مدارس مسائية لاستيعاب الذين ارتدوا عن الاسلام الى المسيحية في بانت بأمدرمان ومايو وكرتون الحاج يوسف بالعاصمة القومية الخرطوم .

ويستعمل التبشير الكنسي في ذلك وسائل عديدة كل حسب الحاجة وظروف المجتمع الاسلامي الذى تعمل فيه ومن هذه الوسائل :

١) التبشير عن طريق التأثير في المناهج التعليمية وغالبا ماتستعمل هذه الوسيلة في مناطق الاقليات المسلمة وحيث الوجود المسيحي المكثف .

لقد ارتد كثير من الطلاب المسلمين الذين تلقوا تعليمهم في مدارس الكنيسة والحكومات الافريقية التي تفرض الامتحان لمادة التربية الدينية ايا كان نوعها وتترك امر تدريسها ومناهجها ومعلميها وكتبها لأصحاب الديانات كما هو الامر في كينيا وتنزانيا ونيجيريا واحيانا يضطر الطلاب المسلمون في هذه المدارس الى دراسة مادة التربية المسيحية نسبة لتوفر معلميها وكتبها وضمانات النجاح بها : ثم تواصل الكنيسة علاقاتها معهم الى ان يقتنعوا بأنهم اصبحوا مسيحيين .

٢) التبشير عن طريق البث الاذاعي : وتصلح هذه الطريقة للمجتمعات الرعوية المترحلة التي لايصل اليها المبشرون وفي المجتمعات التي يخشى المبشرون فيها من مغبة الاتصال المباشر . وقد اوضحت الدراسات التي قامت في هذا المجال ان هنالك اكثر من خمسين اذاعة كنسية في افريقيا تبث برامجا مسيحية متخصصة للقبائل الافريقية بمختلف لغاتها ولهجاتها كالفوتقدى والسواحيلي والأرومو والهوسا وتستعمل الموسيقى والايقاع والاغاني والاناشيد والالحان المحلية . واشهر هذه الاذاعات صوت البشارة التي انتقلت من اديس ابابا الى الجابون ، اذاعة سلبس بسيراليون ، اذاعة الحب الابدى يكتسح افريقيا او راديو الوبمنروفيا ، اذاعة سيشل ، الاذاعة الدولية والكثير من الاذاعات الصغيرة ومحطات التقوية في فاوندرى بالكمرون وجوس بنيجيريا واروشا وموشي بتنزانيا .

٣) الفديو والكاسيت والسينما المحلية :
تستعمل المنظمات الكنسية هذه الوسائل التقنية لعرض القصص ذات المدلول المسيحي مستفيدة من التراث المحلي للشعوب التي تعرض عليها كفلم العقد الذى يعرض للفولاني اما في الشرائط التسجيلية فانهم يقدمون خطبة من احد الفولاني المسلمين الذين تنصروا يحكي فيها اسباب ارتداده عن الاسلام .

٤) الكتاب والمنشور والصورة المعبرة :
وهذه وسيلة تستعمل في المجتمعات الحضرية وفي المجتمعات الأمية فانهم يستعملون الصورة المعبرة .

٥) الخدمات الصحية والبيطرية :

يقوم المبشرون باعطاء المسلمين وحيواناتهم الدواء باسم المسيح باعتباره كان يشفي المرضى مستغلين بذلك الجهل والمرض .

٦) الاغاثة من الكوارث العارضة كالمجاعات وغيرها :

واليوم تعمل في السودان اكثر من ثلاثين وكالة اغاثة كنسية واجنبية . والكلام عن الاساليب الكنسية يطول غير انها فعالة في غيبة تكاتف المسلمين . ففي ظروف المجاعات الاخيرة تجد الشباب الالماني الغربي والفتاة الايطالية والطبيب التيلندي كلهم تركوا بلاده واقاموا في الظروف الصعبة وسط المسلمين . ماذا يقول الطفل المسلم عندما يجد طعام المصونة الذي يأكله والدواء الذي يتطبب به واللعبة الصغيرة التي تهدى اليه من جهات كنسية ؟

وخلافا لما قد يتوقع فان اثر هذه العوامل يزداد يوما بعد يوم وكما ذكرنا فان انتهاء الاستعمار المباشر ونيل الدول الافريقية لاستقلالها الشكلي لم يكن نهاية لمشكلة الاستعمار فقد خرج من الباب ليعود من النافذة بشكله الجديد الحديث جاء في شكل مؤسسات تعمل على انهيار اقتصاد المجتمعات المسلمة وانهيار اخلاقيات المجتمعات المسلمة متعاون في ذلك بتدابير الكنيسة التي تقوض هذه المجتمعات من جذورها وتعمل على فصلها من اصولها الحضارية بالفتن والحروب الاهلية وغيرها وتطمع الكنيسة ان تجعل معظم سكان القارة الافريقية جنوب الصحراء من اتباع المسيحية عام ٢٠٠٠ الف . وبالرغم من ان العائد من النشاط الكنسي المروع اقل من حجم هذا النشاط الا ان ما حققته الكنيسة حتى الان يعتبر نجاحا باهرا لها . ان احصاءاتهم تقول انهم يجندون في كل يوم عشرين الف افريقي للديانة المسيحية وقد كان تعداد المسيحيين الكاثوليك في بداية هذا القرن مليون شخص وتعدادهم اليوم يزيد عن الخمس وستين مليونا ويولي الفاتيكان افريقيا اهتماما خاصا فقد زار البابا يوحنا افريقيا ثلاثة مرات في السنوات الستة الماضية الشيء الذي لم يفعله لأى قارة اخرى خارج اوربا فقد شاءت سنة الله في الكون ان يكون للمجهود والعمل كسبه المقدر حتى ولو كان هذا العمل باطلا وليس هناك كسب بلا عمل ويتوجب على المسلمين ان يلتفتوا الى القارة الأفريقية التي هي اليوم في مرحلة التشكل وتحديد الهوية حتى ينقذوا اخوانهم المسلمين من براثن التبشير والتنصير ويخرجوا ابناء هذه القارة البكر من الظلمات الي النور .

مقترحات للعلاج :

بما ان المشاكل التي ذكرناها معقدة وعميقة الجذور فلن يكون علاج هذه المشكلات سهلا ولا سريعا لذا ينبغي ان نوطن انفسنا على جهد دؤوب ومتصل لسنوات طويلة قادمة قبل ان نتوقع رؤية ثمرة هذا الجهد . ونسبة للظروف القاهرة التي تعيش فيها معظم الجماعات المسلمة في افريقيا فانها عاجزة عن حل المشكلات التي تتعرض لها ولا بد للمسلمين عامة والمسلمين في العالم العربي خاصة من مد يد العون لاخوانهم في افريقيا وانتشالهم من وهدة الضعف والعوز والجهل التي تحيط بهم ولا يجدون منها فكاكا . ونتقدم بمقترحات العلاج التالية :

أ : انشاء ودعم المؤسسات التعليمية :

لا شك ان التعليم الذى حرم منه المسلمون في افريقيا طيلة العهد الاستعماري هو مفتاح النهضة للأقليات المسلمة لأنه ينمي الوعي ويقوى الشعور بالهوية الحضارية ويؤهل المرء ليكون فاعلا في مجالات الحياة المختلفة . كما ان معظم الحكومات الأفريقية ترحب بالمساعدة في مجال التعليم وتسمح بقيام المؤسسات التعليمية الخاصة الأمر الذى استفادت منه الكنيسة فائدة قصوى . لذا ينبغي اعطاء الأسبقية الأولى لانشاء ودعم المؤسسات التعليمية التي تخدم ابناء المسلمين . من الأفضل ان تكون هذه المؤسسات التعليمية تسمح بالصعود الي الجامعات والمعاهد العليا بتخصصاتها المختلفة حتي تجذب العناصر الذكية والفاعلة من ابناء المسلمين . وربما كان من

الا نسب ان تتبع المنهج القومي في البلد مع اهتمامها بتدريس اللغة العربية والعلوم الاسلامية وغرس الروح والقيم الاسلامية السلوكية . وليترك التخصص في العلوم الاسلامية الي المرحلة الجامعية ، ومن المفيد ان نذكر ان كثيرا من البلاد الافريقية لا تعترف بالشهادات (الدينية) ولا توظف حملتها في الادارات الحكوميه .

كما ان التعليم الديني يعاني من ضعف في تأهيل المعلم وفي مستوى المنهج والكتاب المدرسي . ويصعب اصلاح التعليم الاسلامي في افريقيا دون جهد في رفع مستوى المعلم وتأهيله حتى يؤدي دوره على الوجه المطلوب . وقد لعبت بعض الجامعات السعودية والمركز الاسلامي الافريقي دورا مقدرا في هذا المجال باقامة الدورات التدريبية والتأهيلية للمعلمين .

ب : توطيد العلاقات الثقافية بين الدول الاسلامية والبلاد الافريقية :

استكمالا للنقطة السابقة ينبغي ان تنشأ علاقات ثقافية رسمية بين الدول الاسلامية والحكومات الافريقية تسمح لها بانشاء المراكز الثقافية في البلاد الافريقية ، وفي تقديم المنح الدراسية المنتظمة لأبناء المسلمين في تلك البلاد ، وفي تبادل البرامج الاذاعية والتلفزيونية والافلام السينمائية والتسجيلات الثقافية . وان تمتد تلك العلاقات لتشمل تبادل الاساتذة وزيارات الطلاب فان مثل هذه العلاقات تمينه بتقوية الأواصر وتنمية التفاهم مع الجماعات المسلمة في افريقيا . ويمكن لهذه العلاقات ان تهدف لتوفير الكتاب الاسلامي باللغات المقروءة في البلاد الافريقية فان غياب الكتاب الاسلامي باللغات المحلية او الاجنبية من المكتبات الافريقية ظاهرة واضحة للعيان وان تهدف الي ترجمة القرآن الكريم باللغات الافريقية المحلية فعدد ترجمات المصحف بلغات افريقية تعد على اصابع اليد الواحدة في حين ان هناك مئات الترجمات للانجيل ، وتوزع هذه الاناجيل مئات الالاف من النسخ كل سنة مجانا فمثلا قبيلة كقبيلة الدينكا في جنوب السودان تعتبر من اعرق القبائل الافريقية واكبرها حجما وحتى الان لا يوجد مصحف واحد مترجم الي لغة الدينكا .

جـ : الاغاثة والمساعدة عند الكوارث :

لابد للعالم الاسلامي وهو يشهد ان افريقيا تطحنها المجاعة والجفاف والتصحر ان يمد لها يد الاغاثة والمساعدة فان المؤسسات الكنسية استغلت هذه الفرصة وكسبت ملايين الدولارات من اهل الخير في الغرب وجاءت تنفقها في البلاد الافريقية التي تأثرت بالجفاف والتصحر وكان طبيعيا ان تفتح امامها الابواب المغلقة فقبلت حكومات كأثيوبيا وموزمبيق تحادي النشاط التبشيري بوكالات الغوث التبشيرية بل نحن في شمال السودان المسلم سمحنا لهذه الوكالات الاجنبية بالعمل ونحن نعلم ما تضمره لنا من اخطار وقد لعبت الوكالة الاسلامية الافريقية للاغاثة والهلال الاحمر السعودي والاغاثة الكويتية ولجنة مسلمي افريقيا دورا محمودا في تقديم الاغاثة والعون للبلاد الافريقية . ولكن ينبغي ان تقوم بالاغاثة مؤسسات متخصصة مدربة تقوم هي بالتوزيع المباشر على المحتاجين من الاشالي لان الاموال والمواد التي تسلم للحكومات لا تصل في كثير من الاحيان الي المتضررين من المواطنيين . ولابد من اختيار عناصر اسلامية ملتزمة في ادارة وكالات الغوث حتى تضرب المثل بالقدوة والسلوك .

د : العلاقات الاقتصادية والتجارية :

ان التاثير الثقافي والحضاري لابد من دعمه بمصالح مشتركه مع الدول الافريقية في شكل شركات استثمارية ومصارف مالية حتى تقوى العلاقات فلا تكون عرضة لتغير الحكومات ومزاج الحكام . وهذا ما نشهده في العلاقات بين البلاد الافريقية والدول الاوربية فبالرغم من تغير الانظمة السياسية في افريقيا نجد ان الارتباط يظل قائما . ومن شأن العلاقات التجارية والاقتصادية ان تحسن من اوضاع المسلمين الاقتصادية بحكم

ان العلاقات معهم ستكون اولى من غيرها . وقد برهنت الحوادث ان الاستثمار في اوربا او امريكا ليس بمأمون العواقب بل ان قوة تلك الدول تجعلها اكثر مقدرة على البطش بأموال المسلمين كما فعلت امريكا بالاموال الليبية والايرانية . ولو قامت العلاقات الاقتصادية على دراسات جيدة وادارتها ايد امينة مقتدرة فان العائد منها قد يفوق ما سواها من البلاد .

دراسات وبحوث من المسلمين :

ان معظم الدراسات والكتب المكتوبة عن الاسلام والمسلمين في افريقيا كتبت بواسطة مبشرين كاسبنسر ترجمجهام القس الكاثوليكي البريطاني او بواسطة مستشرقين اوربيين اراد وها اداة لتسهيل الادارة الاستعمارية . وكل هذه الدراسات منحازه ضد الاسلام والمسلمين بصورة او اخرى . وللاسف فقد ظلت هذه الدراسات هي المرجع الاساسي لاوضاع المسلمين في افريقيا حتى في الجامعات الاسلامية لخلو الساحة من غيرها ومن ثم فلابد من تشجيع دراسات ميدانية يقوم بها المسلمون حتى نطمئن الي صحتها ودقتها وحتى نؤسس عليها اى عمل دعوى اسلامي في البلاد الافريقية . فانشاء مراكز المعلومات والبحوث وتشجيع هذه الدراسات في جامعات البلاد الاسلامية امر هام للغاية . ونجد ان الساسة او الحكومات في البلاد المتقدمة تبني قراراتها على الدراسات والمعلومات المتوفرة في مراكز البحوث بالجامعات .

كلمة اخيرة أن العمل الاسلامي في افريقيا يحتاج الي تنسيق فاعل بين الدول والمؤسسات الاسلامية وبالرغم من الاعتراف بالخلافات القائمة بين البلاد الاسلامية الا ان هناك مجالا واسعا للاتفاق والتنسيق في النشاط الاسلامي الذى تقوم به في افريقيا . وقد بدأ المركز الاسلامي الافريقي ومنظمة الدعوة الاسلامية ورابطة العالم الاسلامي بالتعاون مع بعض المنظمات والهيئات الاسلامية في افريقيا مشروعا لتنسيق العمل الاسلامي في افريقيا . وبدأ هذا المشروع بجمع معلومات واحصاءات دقيقة وعميقة عن احوال المسلمين في القارة الافريقية وسينتهي ان شاء الله بوضع استراتيجية متكاملة للعمل الاسلامي في افريقيا تشترك فيها المنظمات الاسلامية المانحه والجمعيات الاسلامية المحلية والشخصيات الاسلامية القيادية في البلاد الافريقية وبعض اهل الخبرة والتخصص بشئون افريقيا حتى تأتي ناضجة مكتملة باذن الله . وهل السودان بلد وسط بين افريقيا والعالم العربي يجمع كثيرا من الصفات المشتركة بين العالمين وهو بهذا مؤهل لقيادة العمل الاسلامي في افريقيا .

والله ولي التوفيق . """"

المشير (م) عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب
رئيس مجلس امناء منظمة الدعوة الاسلامية

م/ك
١٠ / ٢م